

الموقف القرآني من زعماء قريش

الوليد بن المغيرة أنموذجاً

م.م. قاسم محمد محي المالكي^(١)

المقدمة

وقف القرآن الكريم موقف الناصر للنبي محمد ﷺ في جميع مواقفه المحرجة، فهو عون للنبي ﷺ في دعوته، وسلاحه الذي يشهره بوجه عتاة قريش عند شدته، فيستعين بالقرآن ليفضح نواياهم ويكشف خباياهم من جهة، ومن جهة ثانية يسحر ألبابهم ببيانه وأسلوبه وبلاغته وعالي أدبه فيجذبهم إليه، فيؤمن من يتغلب على عصبيته، ويتجبر من تغلب عليه شقوته، وهو يجيب على كل سؤال يسأله أو يمر على خواجلهم، بأحسن جواب وابلغ بيان، فيبهر عقولهم ويأخذ بألبابهم، فيشعرون وكأن القرآن يعيش في دواخلهم ومطلع على كوامنهم، ولم يعد بالإمكان إخفاء شيئاً عن محمد ﷺ، فحاروا فيه وبأي شيء يجيبوا وبأي لسان ينطقوا، فأما أن يسلموا فيحول دون ذلك كبريائهم وأنفتهم وحسدتهم وحماقاتهم وعادات اعتادوها، وأوثان عبدوها، ومطامع أملوها، وتجارات يخشون كسادها، وشيطان سول لهم، ونفس أمارة بالسوء، وهوى تلبس بهم فصار جزءاً من شخصيتهم، فلا يملكون الشجاعة الكافية لمخالفة هواهم وطاعة جنانهم، فساءت عاقبتهم فاخذوا يتوسلون بكل شيء للثبات على موقفهم السيئ، ليلاقوا مصيرهم الخائب، وهذا أعجب ما في الإنسان عندما يقرر مصيره الأسود بيده ولسانه وماله، فتلك عاقبة من لا يرعوي ويتخذ من هواه دليلاً ومن الشيطان غروراً ومن الرغبات عن العقل بديلاً، فالوليد بن المغيرة واحد من أولئك نفر الذين عرفوا الحقيقة وجحدوها وتأثروا بالقرآن وكابروا، وكادوا أن يهتدوا لولا تسويل شياطين الإنس والجن وعلى رأسهم أبو جهل، فوظفوا طاقاتهم لمناوأة الحق فشاركوا في التخطيط للوقوف بوجه القرآن والسعي دون تأثر العرب فويل للوليد وأمثاله الذين يقفون بوجه الحق ويبيعون عقلهم بهواهم، والحكمة بالوهم، والحق بالباطل.

فعندما اخذ القرآن يتسرب إلى قلوب العرب ، وخاصة الوفود القادمة إلى مكة في المواسم ، فقد استشاط زعماء الظلال في مكة غضباً ، وكادوا أن يموتوا أسفاً ، وهم يرون أن الكثير من سمعوا بالقرآن آمنوا ، من تعرفوا على العقيدة اهتمدوا وهم لازالوا في ظلالهم يعمهون وفي كبريائهم وتعصبهم يغرقون ، فملاً الحقد والحنق قلوبهم والحيرة والغيرة نفوسهم ، ماذا يفعلون وأي قرار يتخذون ، وكيف يمنعون القرآن من أن يتسرب إلى القلوب الصافية ، والعقول النيرة التي تبحث عن الحقيقة لتأخذ بها؟ فوقعوا في حماقات وواجهوا مطبات فغرق من غرق في موج ظلاله ، ونجى من نجى بسفينة عقله إلى شاطئ الإيمان وبر الأمان . وقبل التعرض للموقف القرآني من زعماء قريش نحتاج ان نتعرف على البيئة الاجتماعية لمكة باعتبارها المكان الذي بدا نزول الوحي فيه ، وعاش بها أولئك الزعماء المناوئون وللباطل مناصرون ، وحسبك أن في مكة نزل الوحي وعاش الرسول ومنها انطلقت الدعوة وعانى المسلمون ، وفيها أحدثت المعارضة واشتد النزاع ، فاستحقت أن نضع لها فصلاً كمقدمة ممهدة للدخول في عمق الموضوع الذي سوف نتناول فيه أولئك المناوئون للنبي محمد ﷺ .

الفصل الأول: موجز عن تاريخ مكة وأوضاعها الاجتماعية والسياسية

تمهيد

يبدأ تاريخ مكة المكرمة من آدم ﷺ ، على ما أشارت إليه بعض الروايات ، وقد تشرفت مكة في هذه الفترة أن يكون من بين زعمائها مجموعة من الأنبياء ، والأولياء وبذا تعتبر اقدس بقعة على سطح الأرض ولأنها المكان الأول الذي عبد الله فيه على دين التوحيد وسنت الشرائع السماوية فيها ، وتعلم فيها آدم وبنه أساليب الحياة الجديدة زرع ورعى وتكلم ووعى وأوقد وطهى وتعلم وبنى وتطور وسعى وانجب ونمى ، وخلال هذا الزمن الطويل حدثت في مكة الكثير من الأحداث المهمة التي تعد ذات أبعاد عالمية تأثرت بها الكثير من الأمم والشعوب وتحدثت عنها الكتب السماوية بما فيها القرآن الكريم وأمّهات الكتب التاريخية ، ونحن نحاول في هذا الفصل نحاول أن نبحت بعض ما يخص مكة من ناحية تاريخها وأهميتها وطريقة إدارتها لما لها من علاقة مهمة في معرفة الظرف الذي نزل فيه القرآن وحصلت فيه المواجهة .

المبحث الأول: أهمية مكة

نحاول أن نستعرض في هذا المبحث أهمية مكة من ثلاث جهات ، الأهمية الاقتصادية ، والأهمية المعنوية ، و الأهمية التاريخية .

١. الأهمية الاقتصادية

يمكن إيجاز الأهمية الاقتصادية لمكة بكونها الممر التجاري للقوافل ، التي تنقل البضائع من مختلف بقاع العالم ، وتكون حلقة وصل بين الحضارات المختلفة ، لذلك أنشئت في مكة المكرمة مجموعة من القنصليات لمختلف الدول والممالك المحيطة بالجزيرة العربية كالأحباش والروم والفرس ، وعين فيها ممثلون لبعض الممالك العربية التي أسست على أطراف الجزيرة العربية^(٢) ، ذلك بعد أن أغلقت الطرق البحرية بسبب الحروب بين الفرس والروم . وأنشأت مجموعة من الأسواق للتبادل التجاري بين هذه الأمم قرب مكة .

٢- الكامل في التاريخ ابن الأثير ١ : ٣٩ ، دار إحياء التراث العربي بيروت .

كسوق عكاظ وذات المجاز وغيرها ، وأنشأت أحلاف وعلاقات للحفاظ على القوافل التجارية ، من القبائل التي تمر بها تلك القوافل .

والشيء الآخر الذي أعطى مكة أهمية اقتصادية هو الهدايا والنذور التي تقدم إلى مكة وللأصنام التي على ظهورها وتعود لمختلف القبائل والأقوام وقد خصص مكان لجمع هذه الهدايا والنذور .

٢. الأهمية المعنوية

تعود أهمية مكة المعنوية إلى كونها المنطلق الأول للبناء التكويني للحضارة الإنسانية وكذلك البناء التشريعي حيث عرفت أول التشرييع على يد آدم عليه السلام في مكة ثم أضيفت إليها عبر التاريخ تشريعات جديدة كلما تجددت الحياة واحتاجت إلى تشريع ، وعندما تحرك الإنسان من هذه الأرض حمل معه ميراثه من التشريع إلا أنه للأسف حرف الكثير من هذه التشريعات بشكل سلبي ، بدافع المصالح الضيقة والأهواء ورغبات ذوي الجاه والمصالح يساعد على ذلك الجهل والتخلف ، ومع ذلك بقيت مكة محط أنظار العالم تنطلق منها بين الفينة والأخرى أنوار هدى يستضيء بها العالم وبقيت معظمة من جميع الأديان ، والقوميات ، يقدمون لها الهدايا والقرايين والنذور ويزورونها للدعاء ، فكان اليهود يعظمونها ويقولون إن روح سينا حلت فيها وهو الاقنوم الثالث حسب عقيدتهم حيث زار سينا مع زوجته بلاد الحجاز^(٣) ، وكانت الصابئة من الفرس والكلدانيين يعدونها أحد اليبوت السبعة المعظمة ، وربما قيل أنه بيت زحل لقدوم عهده وطول بقاءه^(٤) وكان الفرس يحترمون الكعبة أيضاً زاعمين أن روح هرمز حلت فيها^(٥) ، وكان أسلافهم يقصدون البيت الحرام ويطوفون به تعظيماً له ولجدهم إبراهيم عليه السلام (كما يدعون) ، وكان آخر من حج منهم ساسان بن بابك وقد أهدى غزالين من ذهب وجواهر وسيوفا وذهباً كثيراً ، فدفن في زمزم وقد افتخر بعض شعراء الفرس بعد ظهور الإسلام وقال :

وما زلنا نحج البيت جمعاً
ونلقى بلقى بالباطح آميناً
وساسان بن بابك سار حتى
أتى البيت العتيق يطوف ديناً^(٦)

وكان اليهود يعظمونها ويعبدون الله فيها على دين إبراهيم عليه السلام وبها صور وتماثيل منها تمثال إبراهيم عليه السلام ، وإسماعيل عليه السلام ، وصور العذراء والمسيح عليه السلام ، ويشهد ذلك على تعظيم النصارى لأمرها^(٧) ، وموضع البيت الحرام يأتيه المظلوم والمتعوز من أقطار الأرض يدعو عندها المكروب ، فكل من دعا هناك استجيب له وكان الناس يحجون إلى موضع البيت حتى بوأ الله مكانه لإبراهيم عندما أراد طهارة بيته واطهار دينه وشريعته^(٨) .

- ٣- الميزان في تفسير القرآن محمد حسين الطباطبائي ٤ : ٤١٤ مؤسسة الاعلمي للمطبوعات بيروت .
- ٤- مروج الذهب ومعادن الجوهر علي بن الحسين المسعودي ت ٣٤٦هـ : ٢٢٨ ، دار المعرفة بيروت .
- ٥- الميزان : مصدر سابق ٤ : ٤١٤ .
- ٦- مروج الذهب مصدر سابق : ٢ : ٢٤٢ .
- ٧- الميزان مصدر سابق : ٤ : ٤١٤ .
- ٨- أخبار مكة : للأزرقي : ٥١ ، دار الثقافة ، مكة ، سنة ١٤٠٨هـ .

ويقال ان الله أهبط منذ أنزل الله آدم ﷺ إلى الأرض حجر بيته تتناسخه الأمم والملل امة بعد امة، وملة بعد ملة^(٩) وكل نبي من الأنبياء إذا هلك امته لحق يتعبد فيها ومازال النبي ومن معه يتعبد حتى يموت فيها، فمات نوح وهود وصالح وشعيب، وقبورهم بين زمزم والحجر^(١٠)، وهناك قبور سبعين نبي قرب زمزم^(١١)، ومن هذا نعلم مدى أهمية مكة عالميا، وليس فقط بالنسبة للجزيرة أو أهل مكة.

٣. الأهمية التاريخية

اختلف المؤرخون في تاريخ مكة فمن قائل يقول إن تاريخها قائم قبل إبراهيم ﷺ ثم عرض عليها الخراب بعد ذلك فجدها إبراهيم وإسماعيل عليهم السلام، ومن قائل يقول أن تاريخ بنائها وإنشائها يعود إلى إبراهيم ﷺ، وذهب بعض أهل التفسير وكتاب التاريخ من المسلمين إلى أنها اسبق من إبراهيم ﷺ، فالذين يرجعون تاريخها إلى آدم ﷺ يستدلون على ذلك بمجموعة من الروايات والأقوال والأقاصيص والإسرائيليات بعضها اخذ من التوراة والإنجيل المحرفين، لذا لا يمكن الاعتماد عليها وإنما المتيقن ان إبراهيم وإسماعيل قاما ببنائها كتابا وسنة صحيحة، من غير يقين ان هذا البناء ابتداءً أم تجديدًا، وبعضهم توقف عن الحكم وقالوا: الله اعلم لأنه لا مجال للحكم في هذا الباب سلباً أو إيجاباً^(١٢)، بينما يدافع السيد الطباطبائي عن الرأي القائل بقدم مكة، ويرد الكلام الذي يبطل قدم مكة.

ومن خلال رده لأدلة القائلين بعدم قدم مكة يتبين أن السيد الطباطبائي لا يمنع من القول بوجود الكعبة قبل إبراهيم ﷺ لكن لا يقطع بذلك^(١٣). فالذين يقولون ان قدم مكة يعود إلى آدم ﷺ يصورون تسلسل الأحداث الاجتماعية والسياسية في مكة بدءاً من قتل قابيل لهابيل وتولي شيت الوصاية لأبيه آدم ﷺ، وبسبب هذا الحدث الخطير انقسمت الإنسانية إلى قسمين: اتخذ أهل الخير من ذرية آدم موقعهم قرب الكعبة في جبال مكة وضواحيها، بينما ذهب قابيل وبنوه إلى سهول الجزيرة واليمن، واندفعوا إلى ارض الله الواسعة بعيداً عن نور النبوة ومشعل الهداية، فراحوا في ظلام الجهل يتخبطهم الشيطان يفعلون المنكرات ويأتون الشهوات ويعيشون في الأرض فساداً، فتعلموا الطرب والغناء وغيرها من الموبقات^(١٤).

و تزعم مكة في هذه الفترة مجموعة من الصالحين، منهم شيت وانوش وبرد، واستمر أبناء آدم على النهج الصحيح إلى ان جاء «برد» فنزل بعض ذريته من الجبل واختلطوا بذرية قابيل التي عمها الفساد، ومن بعد برد اخنوخ - وقيل إدريس ﷺ^(١٥)، فزاد الاختلاط وكثر الفساد وتسرب بين أبناء شيت، ولم يبق من الصالحين إلا القليل، فنقضوا الميثاق وعبدوا الأوثان، وبدأت مرحلة الإصلاح الاجتماعي من قبل الأنبياء عليهم السلام الذين بعثهم الله سبحانه وتعالى رحمة بالإنسان، واستمرت محاولات الإصلاح إلى أيام نوح ﷺ حيث ظهرت الأرض بالطوفان بعد ان يأس نوح من إصلاحهم فخطب ربه ﷻ رَبِّ إِنِّي

٩- المصدر السابق: ٥٥ .

١٠- أخبار مكة مصدر سابق: ٦٨ : . معجم البلدان ياقوت الحموي (الخانجي ١٣٢٣ هـ) «الكعبة» .

١١- أخبار مكة المصدر السابق: ٧٣ : .

١٢- الكاشف محمد جواد مغنیه: ٢٠٣ الهامش. دار العلم للملايين بيروت .

١٣- الميزان مصدر سابق: ١ : ٢٨٨ .

١٤- أخبار مكة مصدر سابق: ١ : . الكامل في التاريخ مصدر سابق: ١ : ٦٢ .

١٥- مروج الذهب مصدر سابق: ١ : ٣٩، الكامل في التاريخ مصدر سابق: ١ : ٦٧، يعقوبي مصدر سابق: ١ : ٣٤ .

دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا وَاسْتَكْبَرُوا ﴿٧﴾ ﴿نوح ٥، ٦، ٧﴾ وفي الفترة بين نوح وإبراهيم عليه السلام لم يحدثنا التاريخ بشئ واضح عن هذه الفترة ، هل أن مكة تركت أو مصرت؟ إلا انها كانت بقعة مقدسة موضعها أكمة حمراء كما يروي لنا التاريخ ، وكان ياتيها المظلوم والمتعوز من أقطار الأرض ويدعو عندها المكروب فكل من دعا بصدق استجيب له وكان الناس يحجون إلى موضع البيت حتى بوأ الله له إبراهيم عليه السلام^(١٦).

اما بعد إبراهيم عليه السلام فأول الأقوام الذين سكنوا مكة وعاشوا فيها هم جرهم ، وتولي الزعامة فيها أبناء إبراهيم عليه السلام إسماعيل ونابت وقيدار ، واختلف المؤرخون في إدارة مكة بعد نابت وقيدار ، فمن قائل يقول : ان إدارتها كانت لجرهم ، وآخر ينسب ذلك إلى العماليق ، وثالث يقول : انها كانت مشتركة بين جرهم والعماليق ، ثم حدث صراع بينهم أدى إلى نفي العماليق عن مكة ، وإلى سيطرة جرهم عليها ، وآخر يعيد ذلك الحدث من الصراع إلى «طسم» أو أبناء قنطورا إلا أن أشهر الأخبار تشير إلى أن الذين تولوا إدارة مكة بعد أبناء إسماعيل هم جرهم ، وهم الذين تزوج إسماعيل منهم زوجته^(١٧).

المبحث الثاني: أسلوب إدارة القرشيين لمكة

أولاً: استلام قريش إدارة لمكة

بعد ان استعرضنا تاريخنا الأمم التي سكنت مكة وترعمتها فان تاريخ إدارة قريش لمكة يبدأ من زعامة قصي لها ، والذي كانت على يديه نهاية خزاعة آخر الزعامات غير القرشية ، وقصي اسمه الحقيقي زيد بن كلاب ، مات أبيه وهو صغيرا فتزوجت أمه من ربيعة بن حزام كبير بني عذرة ، فنقلها إلى بلد عذرة من مشارق الشام ، وحملت معها قصيا لصغره فشب زيد في حجر ربيعة ، فسمي قصيا لبعده عن دار قومه ، ولما غيره أخيه لأمه الفضاعي بالغربة رجع إلى أمه وسألها عما قال ، فقالت له يا بني أنت أكرم منه نسبا ونفسا أنت بن كلاب بن مرة وقومك في مكة عند البيت الحرام ، وعندها شد الرحال إلى مكة وأقام مع أخيه زهرة ، ثم خطب إلى حليل بن حبشة ابنته فزوجه ، وحليل يومئذ يلي الكعبة وهو شيخ كبير ، فولدت لقصي أولاده عبد مناف وعبد العزى وعبد قصي ، وكثر ماله وعظم شرفه ، ولما هلك حليل أوصى بولاية البيت لابنته حبي ، فقالت إني لا أقدر على فتح الباب وإغلاقه فجعل فتح الباب إلى ابنه المحترش . فاشترى قصي منه ولاية البيت بزق خمر وبعود فضربت العرب المثل فقالت أخسر صفقة من أبي غبشان ، وقيل : إحليل بن حبشة أوصى قصيا بذلك وقال أنت أحق بولاية البيت من خزاعة ، عندها جمع قومه وأرسل إلى أخيه من قضاة يستنصره ، فحضر في قضاة في الموسم . وكانت صوفة تدفع بالناس من عرفات وتجزهم إذا تفرقوا من منى . فأتاهم قصي ومن معه من قومه ومن قضاة فمنعهم وقال نحن أولى بهذا منكم ، فقاتلوه وقاتلهم قتالا شديدا فانهزمت صوفة . وغلبهم قصي . فانحازت خزاعة بعد أن عرفت أنه سيمنعهم كما منع صوفة ، وكثر القتال بين خزاعة وبني بكر من طرف وقصي وقضاة من طرف آخر . ثم تداعوا إلى الصلح . على أن يحكموا بينهم عمرو بن عوف بن كعب بن ليث من كنانة ، فقضى بينهم :

١٦- اخبار مكة مصدر سابق ١٠: ٥٦ ، الدر المنثور عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي الناشر دار الفكر بيروت ١٩٩٣
١٠: ٦٠ ، السيرة الحلبية علي بن برهان الدين الحلبي ١: ٣٢٥ دار المعرفة بيروت.
١٧- اليعقوبي مصدر سابق ٢٧٠: ١

(بأن قصيا أولى بالبيت من خزاعة وإن كل دم أصابه من خزاعة وبني بكر موضوع يشدخه تحت قدميه وإن كل دم أصابت خزاعة وبنو بكر من قريش وبني كنانة ففي ذلك الدية مؤداة)^(١٨). تولى قصي الزعامة بعد أن حكم له عمرو بن عوف بالأحقية في ولاية البيت. وهو أول رئيس ووردت الأخبار أنه لما شعث قومه وجمعهم من الأودية والشعاب والجبال إلى مكة. وابتنى مقر رئاسته وسمي دار الندوة. يجتمع فيه أعيان قريش ويقررون ما شاؤوا من الأحكام في أمور السلم والحرب.

وسن تشريعات جديدة منها عدم أحقية من لم يبلغ الأربعين من السنين أن يدخل دار الندوة. لما كبر قصي وعلم قرب وفاته أجمع على أن يقسم أمور مكة بين بني.

فأعطى عبد الدار السدانة ودار الندوة واللواء، وأعطى عبد مناف السقاية والرفادة والقيادة^(١٩) في حين يرى اليعقوبي أن قصي جعل السقاية والرئاسة لعبد مناف والدار لعبد الدار والرفادة لعبد العزى وحافتي الوادي لعبد قصي^(٢٠).

ولما مات قصي حدث صراع بين عبد مناف وعبد الدار في الاستئثار بالمناصب، وانقسمت لذلك قريش فطائفة مع بني عبد الدار وأخرى مع بني عبد مناف فكان صاحب أمر بني عبد مناف عبد شمس ومعه من قريش بنو أسد بن عبد العزى، وبنو زهرة بن كلاب، وبنو تميم بن مرة، وبنو الحارث بن فهر، وكان صاحب أمر بني عبد الدار وعامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار وكان بني مخزوم بن مرة، وبنو السهم بن عمرو بن هصيص بن كعب. وبنو جمح بن عمر بن هصيص وبنو عدي بن كعب مع بني عبد الدار، وخرجت عامر بن لؤي ومحارب بن فهر فلم يكونوا مع واحد من الفريقين، فعقد كل قوم على أمرهم حلفاً مؤكداً على أن لا يتخاذلوا، فأخرج بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيباً وضعوها لأحلافهم في المسجد عند الكعبة ثم غمس القوم أيديهم فيها، فتعاقدوا وتحالفوا ثم مسحوا الكعبة بأيديهم. فسموا المطيبين. وتعاقد بنو عبد الدار وتعاهدوا هم وحلفاؤهم عند الكعبة حلفاً مؤكداً فسموا الأحلاف، (ويقال إنهم وضعوا أيديهم في دم جزورا ذبحوها) ولحق أحدهم من ذلك الدم فسموا الأحلاف ولعقة الدم، ثم تداعوا بعد ذلك للصالح على أن يعطوا بني عبد مناف السقاية والرفادة وأن تكون الحجابة واللواء والندوة لبني عبد الدار كما كانت وتحاجز الناس عن الحرب^(٢١).

وهذه الأحلاف اثرت اثراً كبيراً على مستقبل قريش وسبباً لمناوئة النبي ﷺ للكثير من زعمائها.

ثانياً: طريقة إدارة مكة

بدأت إدارة مكة بشكل منظم عندما سيطر قصي عليها وكانت إدارته تشبه النظام الجمهوري ثم توالى إبناء هذه الإدارة من بعده.

١- جمهورية قصي

- ١٨- السيرة النبوية ابن هشام ابو محمد عبد الملك بن هشام المعافري ت ٢١٣ هـ ١٣٠: ١، دار الجليل. بيروت، الكامل في التاريخ مصدر سابق: ١: ٤٥٨ - ٤٦٠، الطبقات الكبرى ابن سعد ت ٢٣٠ هـ ١: ٤٦٠ طبعة ليدن، موسوعة العتبات المقدسة: ٦٨
- ١٩- اخبار مكة مصدر سابق ٦٦، موسوعة العتبات المقدسة مكة مصدر سابق ٤٠ - ٤٤
- ٢٠- تاريخ اليعقوبي ١: ٢٩٢ مصدر سابق
- ٢١- سيرة ابن هشام مصدر سابق ١: ١٣٨، ابن الاثير مصدر سابق ٢: ١٤

كلما تعددت الأغراض وتوسعت المهام احتيج إلى نظام إداري أفضل. وخاصة بعد أن أصبحت مكة وأسواقها المركز التجاري الأول في العالم للاختلال الذي وقع في النقل البحري بسبب الصراع القائم بين الدول العظمى والروم والفرس والأحباش فأصبح الممر التجاري البري أكثر أماناً فاندفعت آلاف الإبل تنقل البضائع وتحط الرحال في مكة المحطة العالمية الآمنة، خاصة بعد انهدام الممالك العربية في أطراف الجزيرة ودخول الأحباش لها، عند ذلك عمد قصي أن يؤسس نظاماً إدارياً أشبه ما يكون بالنظام الجمهوري فكان هذا النظام قائماً على أساس تقسيم المهام وتوزيعها على مجموعة أفراد، والمهام هي كما وردت في موسوعة العتبات المقدسة:

١. السدانة وهي الحجابة وباستطاعة المتولي فتح الباب وغلقها لأن المفتاح بيده.
 ٢. دار الندوة ويمكن أن نعبر عنها مجلس الشورى والقضاء.
 ٣. اللواء، وهو الراية فكان لقريش راية اسمها العقاب وكانوا إذا أرادوا الحرب. أخرجوها. فإذا اجتمع رأيهم على واحد سلموه إياها وإلا فأنهم يسلموها إلى صاحبها.
 ٤. السقاية: فهي عبارة عن حياض من آدم (جلود كانت على عهد قصي توضع في فناء الكعبة ويسقى فيها الماء العذب من الأبار على الإبل ويسقاه الحجاج).
 ٥. الرفادة: خرج من المال كانت قريش تخرجه من أموالها في كل قومهم فتدفعه إلى قصي يصنع به طعاماً للحجاج يأكله من لم يكن معه سعة ولا زاد.
 ٦. القيادة: هي إمارة الركب ويقودهم إلى القتال في الحرب ويزعمهم في قيادته في الخروج للتجارة. وتفرعت من هذه المناصب مناصب أخرى أهمها:
- الإشناق: وهي تنظر في الديات والغرم.
- القبّة: وهي تجهيزات الجيش في الحرب.
- الأعنة: وهي تدبير شؤون الخيل عند قريش في الحرب.
- المشورة: وهو منصب مهمته إسداء النصيحة والمشورة.
- السفارة: وهي القيام بالاتصال بين قريش وغيرهم من القبائل إذا وقعت حرب أو تطلب الأمر مذاكرة وصلاح.
- والأيسار: وهي الأزام التي كانوا يستقسمون بها للاستخارة مما يشبه سحب القرعة.
- الحكومة: وهي التي تحكم بين الناس إذا اختلفوا أشبه بالقضاء.
- الأموال المحجرة: وهي الأموال التي كانت تخص آلهم من النقد والحلي والسلاح وهي تشبه بيت المال في الإسلام. وكانت ولايتها في بني سهم.
- العمارة: ويراد بها أن لا يتكلم أحد في المسجد الحرام يهجر ولا رمث ولا يرفع صوته ويمكن أن يوصف صاحبها المسؤول والمحافظ على حرمة البيت^(٢٢)
- وهذا النظام جعل مكة عامرة ذات أمجاد وشهرة انفردت بها بين جميع المدن.
- وبعد قصي صارت تعطى هذه المناصب وتوزع على وجهاء بطون قريش لاسترضائهم للمشاركة في فعاليات مكة وضمّان وحدتها.

٢- إدارة عبد مناف

قام عبد مناف بن قصي على أمر أبيه بعده وأقر قريش إليه واحتفظ بمكة رباعاً بعد الذي كان قصي قطع لقومه، ولما جل قدره وعظم شأنه وشرفه وكبر أمره جاءته خزاعة وبنو الحارث بن مناة بن كنانة يسألونه الحلف ليعزوا به فعقد بينهم الحلف الذي يقال له حلف الأحابيش^(٢٣).

٣- إدارة هاشم لمكة

وهو أكبر أبناء عبد مناف واسمه عمر العلاء وإنما سمي هاشماً لأنه أول من هشم الثريد إلى قومه واطعمهم، ويمتاز بشخصية قوية ونفوذ واسع لما قدم من خدمات لقومه وما ابتدع من مشاريع منها حفر الآبار مثل بئر سجلة، وهو أول من سن الرحلتين لقريش رحلة الشتاء للحبشة ورحلة الصيف للشام إلى غزة^(٢٤). التي ذكرها القرآن الكريم، وهو الذي أخذ الحلف من قيصر لقريش على أن تأتي قريش للشام وتعود آمنة^(٢٥) وكان هاشم يخرج مالا كثيراً ويأمر بحياض من آدم فتجعل في موضع زمزم ثم يسقي فيها من الآبار التي بمكة فيشرب منها الحاج، وكان يطعمهم بمكة ومنى وعرفة وجمع، وكان يثرد لهم الخبز واللحم والسمن والسويق ويحمل لهم الماء حتى يتفرق الناس إلى بلادهم فسمي هاشماً^(٢٦).

صراع أمية وهاشم

ويبدو أن ما أصاب هاشماً من علو المكان وسمو المجد أثار حسد أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، وكان ذا مال فتكلف أن يصنع صنيع هاشم فعجز منه فشمت به ناس من قريش فغضب، ونال من هاشم ودعاه إلى المنافرة، فكره هاشم ذلك لسنه وقدره فلم ترعه قريش وأحفظوه، قال هاشم، فأني أنافرك على خمسين ناقة سود الحدق تنحرها ببطن مكة، والجلاء عن مكة عشر سنين، فرضيه أمية بن عبد شمس بذلك، وجعلاً بينهما الكاهن الخزاعي وهو جد عمرو بن الحماق ومنزله بعسفان وقد قضى لهاشم بالغلبة، فأخذ هاشم الإبل ونحرها وأطعمها من حضره وخرج أمية إلى الشام عشر سنين فكانت هذه أول عداوة بين هاشم وأمية^(٢٧).

٤- زعامة المطلب

تولى الزعامة بعد هاشم بن عبد مناف أخيه المطلب بن عبد مناف وكان أصغر من عبد شمس والمطلب كان ذا شرف في قومه وفضل سيداً مطاعاً في قومه، وكانت قريش تسميه الفيض لسماحته، فولي بعد هاشم السقاية والرفادة.

٥- زعامة عبد المطلب

لما أراد هاشم الخروج إلى الشام حمل امرأته سلمى بنت عمرو إلى المدينة لتكون عند أبيها وأهلها وكان معه ابنه (شيبه)، فلما توفي هاشم في سفره. أقامت بالمدينة مع ابنها، واتفق أن مر رجل من تهامة بالمدينة فرأى غلماناً يتناضلون فإذا غلام منهم إذا أصاب يقول أنا ابن سيد البطحاء، فقال له الرجل من أنت يا

٢٣- تاريخ يعقوبي مصدر سابق ١: ٢٩٢

٢٤- تاريخ يعقوبي المصدر السابق ٢٩٤: ، سيرة ابن هشام مصدر سابق ١: ١٤٣

٢٥- يعقوبي مصدر سابق ١: ٢٩٥

٢٦- يعقوبي المصدر السابق

٢٧- طبقات ابن سعد مصدر سابق ١: ٤٦٠ ابن الأثير مصدر سابق ٢: ١٠

غلام فقال: أنا شيبه بن هاشم بن عبد مناف، وانصرف الرجل حتى قدم مكة فوجد المطلب جالسا في الحجر. فقص الرجل على ما رأى من ابن أخيه فقال المطلب أغفلته أما والله لا أرجع إلى أهلي حتى آتية. ثم خرج على راحلته حتى أتى بني عدي بن النجار فلما نظر إلى ابن أخيه قال هذا ابن هاشم فأردفه خلفه وعاد به إلى مكة، وقال البعض من غير علم أمه وزعم الآخرون كان بإجازة من أمه. فلما استقبل أهل مكة المطلب وهم يرحبون به ويحيونه ويقولون من هذا الذي معك. فيجيب هذا عدي ابتعته بيثرب، وبقيت قريش إذا رآته تقول هذا عبدالمطلب. فلج اسمه عبدالمطلب وترك شيبه^(٢٨).

إعادة حفر زمزم

لما تكامل لعبدالمطلب مجده وأقرت له قريش بالفضل رأى وهو نائم في الحجر، آتيا آتاه فقال له قم يا أبا البطحاء واحفر زمزم وتكررت الرؤيا وفيها علامات تدل على مكان زمزم فانطلق فأتى بمعول وابنه الحارث وحيد فاجتمعت إليه قريش فقالوا ماذا تفعل فقال أمرني ربي بما يروي الحجيج الأعظم فاعترضوا ولم يكثر باعتراضهم فلم يحفر إلا قليلا حتى بدا الطي فكبر واجتمعت قريش وعلمت ما رأت الطي أنه صادق. وحفر حتى وجد سيوفا وسلاحا وغزالين من ذهب. فضرب من الأسياف بابا للكعبة وجعل أحد الغزالين صفائح ذهب في الباب وجعل الأخرى في الكعبة^(٢٩). ومن الأمور التي حدثت أثناء زعامة عبدالمطلب وأعطته دفعة معنوية وجعلت الناس تكن له الاحترام وتهابه، قصة الفيل التي ذكرها القرآن الكريم في سورة الفيل.

٦- أبو طالب

بالرغم أن الزعامات أصبحت موزعة بين بطون قريش، إلا أن اباطالب فاقت زعامته ببقية الزعامات بعد أن أضاف لها شرفاً بخلقه الرفيع وسماحته وحكمته فساد بذلك رغم إملاقه. وذكر البلاذري: وأما أبو طالب فكان منيعاً عزيزاً في قريش وكانت قريش تطعم فإذا أطعم ابوطالب لم يطعم أحد غيره^(٣٠).

ومن قول لحكيم العرب أكنتم بن صيفي يقول: تعلم الرئاسة والحلم والسياسة من سيد العرب والعجم أبي طالب^(٣١).

لم يتولى من مناصب مكة التي بها الشرف حسب اعرافهم سوى السقاية، ومما زاده شرفاً كفالته محمد صلى الله عليه وآله بعد عبدالمطلب من بين اخوته واعمامه هذا الاختيار الموفق من قبل عبدالمطلب لأبي طالب لم يكن اختياراً عن فراغ وإنما اختيار عن ارادة ومعرفة بخصائص ابي طالب واهمية محمد صلى الله عليه وآله واستشراق لمستقبل هذا الصبي الذي كان يفضل عبدالمطلب على كل محيطه من اخوته وذويه، هذا ابو طالب قبل البعثة وابو طالب بعد البعثة فقد كان الحصن المنيع للرسول والرسالة يحتاج الى بحث خاص لبيان دوره المشرف تجاه الرسول والرسالة.

هذه نظرة سريعة عن تاريخ مكة مهد الرسالة وساحة الصراع بين النبي ﷺ

٢٨- تاريخ اليعقوبي مصدر سابق ٢٨٦: ١، سيرة ابن هشام مصدر سابق ١٤٤: ١

٢٩- تاريخ اليعقوبي مصدر سابق ٢٢٨: ١ سيرة ابن هشام مصدر سابق ١٢: ١ مروج الذهب مصدر سابق ١٢٧: ١

٣٠- أنساب الاشراف البلاذري احمد بن يحيى بن جابر ت ٧٧٩ هـ: ٢٣، بيروت لبنان، مؤسسة الاعلمي..

٣١- أنساب الاشراف المصدر السابق: ٢٣

وزعمائها ونزول القرآن فيها ، في هذه الساحة نريد ان نتعرف على طبيعة الصراع وماهو موقف القرآن الكريم من الذين وقفوا بوجه الرسالة ما هي اساليبهم وما هو الرد القرآني عليها، من هنا نحاول ان نستعرض الزعماء الذين وقفوا بوجه الرسالة والرسول واحدا بعد واحد ، نتناول فيها شخصيته ودوره في المواجهة لأنه على ما يبدو كان لكل زعيم دور خاص به ، ثم نتناول موقف القرآن الكريم من كل واحد من هذه الشخصيات وفقا للآيات التي تشير إلى شخصيته وتدين مواقفه لآخذ العبرة والاعتبار ومعرفة طريق المواجهة مع الشرك والانحراف.

الفصل الثاني: دور الوليد في مواجهة النبي ﷺ.

بعد أن استعرضنا الظروف التي نزل بها الوحي ومن خلاله تبين طبيعة التنافس وذلك الصراع القائم في مكة على المواقع والجاه والسمعة والثروة ودور العقيدة والأعراف والعادات والمال وفي ذلك نحاول الآن ان نستعرض تلك المواجهة مع النبي ﷺ من خلال نماذج من زعامات قريش نبدأ بهم بالوليد بن المغيرة.

أولاً: من هو الوليد

الوليد المصداق الأول لأولئك الزعماء المؤثرين في قريش وله مواقف مشهودة في عدائه للنبي ﷺ. ويعتبر الوليد بن المغيرة ذلك الرأسمالي الكبير والتاجر العظيم الذي كان يسمونه - على بعض الأقوال الوحيد لأنه يكسو الكعبة لوحده^(٣٢) ، وكان الوليد بن المغيرة شيخا كبيرا، وهو من حكام العرب يتحكمون إليه في الأمور وينشدونه الأشعار، فما اختاره من الشعر كان مختارا، وكان له بنون لا يبرحون مكة، وكان له عبيد عشرة عند كل عبد ألف دينار يتجر بها، وملك القنطار في ذلك الزمان، والقنطار جلد ثور ملؤه ذهبا، وكان من الزنادقة والمستهزئين برسول الله ﷺ وكان عم أبي جهل بن هشام^(٣٣). ثم أن الوليد بن المغيرة لجلالته في قريش، يسمى ربحانة قريش، ويسمى العدل، ويسمى الوحيد وقيل كان حدادا يصنع الدروع وغيرها بيده^(٣٤).

وكان له مالا ممدودا ما بين مكة إلى الطائف من الإبل والخيل المسومة، والنعم والجواري والعبيد والبساتين التي لا ينقطع عطاها صيفاً ولا شتاءً، وبنين شهودا قتل ثلاثة عشر، كان في عيش رغيد وحياة سهلة مرفهة.

فالوليد لم يكن ذا مال فقط وإنما ذا عقل كبير ومنطق رتيب وفن وسمعة وجاه واحترام حتي قيل انه أول من حكم بقطع اليد في السرقة في الجاهلية التي أمر الله بقطعها في الإسلام^(٣٥). ولما خاف الناس هدم الكعبة لبنائها، قال أنا أبدؤكم في هدمها، فأخذ المعول وقام عليها وهو يقول: اللهم لا نريد إلا الخير، ثم هدم الركنين فتربص الناس به تلك الليلة وقالوا: ننتظر فإن أصيب لم نهدم وإن لم يصب هدمناها، وقد

٣٢- أسباب النزول علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ١: ٢٧٠، توزيع دار الباز للنشر والتوزيع مكة المكرمة
٣٣- اعلام الوري باعلام التقي الفضل بن الحسن الطبرسي ١: ١٧١ ت ٥٤٨هـ مؤسسة آل البيت لأحياء التراث قم ايران.
٣٤- اقحام الاعداء والخصوم بتكذيب ما افتروه على سيدتنا ام كلثوم عليها سلام ١: ١٦٤ شمس العلماء السيد ناصر حسين الموسوي الهندي .
٣٥- اضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن محمد الامين بن محمد بن المختار الشنقيطي ١٨: ٦١، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت ١٤١٥هـ

رضي ما صنعنا، فأصبح الوليد من ليلته و عاد إلى عمله، و تحاصت قريش ببناء الكعبة بعد ذلك^(٣٦)، والوليد ممن يتحاكم اليه فقد حكى الزبير بن بكار أنهم تحاكموا اليه في مسألة خدش ففضى أن يحلف خمسون رجلاً من بني عامر عند البيت ما قتله خدش^(٣٧)، وهذا يكشف أن الله منحه قابليات جيدة، إلا أنه مع ذلك لم ينتفع بهذه الخصال ولا بذلك المال، بل حالت بينه وبين هدايته فصارت سوء العاقبة نهايته، لأن طموحاته ومطامعه دفعتة للوقوف بوجه الحق، فكان متكبراً عنيدا يعرف الحق وينكره، ومن هذه خلته لم تنفع معه الدلائل والبراهين والآيات، فاتعظوا يا ألو الألباب، لننظر إلى سيرته ومواقفه، ثم لنعتبر بموقف القرآن منه.

ثانياً: مواقف الوليد من النبي ﷺ.

١. الوليد مستشار قريش في امر النبي ﷺ.

فمن مبادرات قريش الخائبة لمواجهة النبي ﷺ. أنه اجتمع إليه نفر منهم و كان ذا سن فيهم وقد حضر الموسم فقال: يا معشر قريش إنه قد حضر الموسم وإن وفود العرب ستقدم عليكم و قد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فأجمعوا فيه رأياً واحداً، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً، ويرد قول بعضكم بعضاً، فقالوا: فأنت يا أبا شمس فقل و أقم لنا رأياً نقوم به فقال بل أنتم قولوا أسمع، فقالوا: نقول كاهن، فقال ماهو بكاهن، لقد رأيت الكهان فما هو بزمزمة الكاهن، وسجعه فقالوا: نقول مجنون، فقال ماهو المجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو تخنقه، ولا تخالجه، ولا وسوسته، فقالوا: نقول شاعر، فقال ماهو بشاعر قد عرفنا الشعر برجزه وقريضه، ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشعر، قالو: فنقول ساحر، قال: ماهو بساحر، قد رأينا السحار وسحرهم ما هو بنفثه ولا عقده قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال والله إن لقوله خللاوة، إن أصله لمغدق، وإن فرعه لجني، فما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول لأن تقولوا ساحر: فقولوا ساحر يفرق بين المرء وبين أبيه وبين المرء وبين أخيه، وبين المرء و زوجته، وبين المرء وعشيرته^(٣٨)، فتفرقوا عنه بذلك فجعلوا يجلسون يسألون الناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه، وذكروا لهم أمره^(٣٩). ولهذه الرواية صيغ مختلفة وتعابير متعددة لكنها تجمع على أن صاحب الرأي الأخير والمستشار الأول في كيفية مواجهة النبي صلي الله عليه وآله هو الوليد بن المغيرة.

تحليل الرواية

إذا أردنا ان ننظر نظرة فاحصة وتأملنا في جريان الحوار بين وجوه قريش والوليد لوجدنا ان الوليد يدير هذه الجلسة ويجري هذا الحوار بأسلوب منطقي استقرائي يستقرئ الاحتمالات ويفند الافتراضات ولكنه يخيب مع ذلك في الوصول إلى الحق، بعد ما حال دون ذلك عصبية وسوء سريرته وكبريائه هذا الكبرياء الذي منع ابليس من السجود وفرعون وسائر المتجبرين من الإيمان والاقرار بالحق بعد ان ادركوه بعقولهم وجنانهم وان اكثرهم للحق لكارهون، في الوقت الذي لم يبق له في استقرائه للاحتتمالات وبعد ابطاله لكل

٣٦-، اعلام النبوة الماوردي ١: ١٧٤

٣٧- فتح الباري مصدر سابق

٣٨- الإعلام قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء الزركلي خير الدين ت ١٤١٠ هـ ١٩٩٠ م؛ بيروت، دار العلم للملايين.

٣٩- هذه التكملة من السيرة النبوية ابن هشام.

الافتراضات التي افترضت في حقيقة محمد صلي الله عليه وآله وواقع قرآنه الا افتراض واحد يقوله ويصدق العقل ويحكم به المنطق ، وهو ان يقول اشهد ان لا اله الا الله محمد رسول الله ، والقرآن كلام الله ، فليس قرآنه بقول بشر، إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لمغدق، وإن فرعه لجني وانه من حكيم خبير فأمنوا به ياقريش تفلحوا، فلم يجد ما يكذبه إلا عصبية تعيده إلى احد الافتراضات السابقة التي فندها بنفسه ورفضها بجنانه ثم يعود إليها ليعتبرها الحل والسييل لتفريق العرب عن محمد صلي الله عليه وآله، ما هذا إلا لسوء العاقبة وبئس المصير، الذي جعله ينقلب على عقله ومنطقه فيقول قولوا ساحر. فتوقف عند الخطوة الأخيرة يدفعه إلى ذلك غروره وخوفه أن ينتقصه عظماء مكة وتعيبه نساءها، فهو إذن له رأي مسبق يبحث له عن مبرر لا انه يبحث عن الحقيقة والواقع، وأكثر الانحرافات وعدم قبول الحق ورائها رأي مسبق وقرار مفروغ منه، لأنه لا يبحث عن الحقيقة والرأي السديد وإنما يبحث عن التبرير وان كان كاذبا وخلاف المنطق وينكره العقل السليم، وهذه حالة تتكرر كثيرا في الإنسانية ويتبلى بها الكثير من الناس ويواجهها كثير من المصلحين، في شتى العصور ومختلف الأمصار.

٢. شبهة الوليد على البعث

من جملة الشكوك والاعتراضات التي حاول المشركون مواجهة النبي ﷺ. فيها هي كيف يحيي الله العظام وهي رميم، وجاءوا بعظم مفتت وقالوا له كيف يحيي الله هذه فمن جملة المعترضين بهذا الاعتراض هو الوليد بن المغيرة كما ذكرت بعض الإخبار فانزل الله تعالى ردا على تحركاتهم: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَا مِيتٌ لَسَوْفَ أَخْرَجُ حَيًّا أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾. بالرغم من ان هناك اختلاف فيمن نزلت إلا أن الوليد احد الذين ذكرتهم تلك الآيات ولا يبعد ان تتكرر العملية منه ومن غيره فنزلت الآيات تعالج الشبهة من نفوس الجميع فهناك من قال انها: نزلت في أبي بن خلف، وجد عظاما بالية ففتتها بيده وقال: زعم محمد أنا نبعث بعد الموت؟ قاله الكلبي، وذكره الواحدي والثعلبي. وقال المهدي: نزلت في الوليد بن المغيرة، وأصحابه، وهو قول ابن عباس. وقيل: نزلت في العاص بن وائل. وقيل: في أبي جهل^(٤٠).

٣. الوليد يدعي انه مستعد أن يحمل وزر من يكفر

من جملة أساليب قريش للوقوف بوجه الرسالة الاستهزاء والاستخفاف بالقرآن الكريم، فادعي بعضهم انهم يحملون وزر كل من يكفر بمحمد ﷺ، ومن جملة القائلين هذا القول الوليد بن المغيرة كما في بعض الروايات، فرد عليهم القرآن قولهم هذا في عدة آيات ويمكن ان يشير تعدد اللفظ والمعني في عدة آيات الى أهمية الموضوع وأثره على المجتمع وتعدد اتجاهاته ففي كل آية تشير الى اتجاه من اتجاهاته من تحمل وزر عدم إتباع النبي أو وزر عدم الإيمان برب النبي أو وزر المعاصي التي تترتب عليها عقوبات يوم القيامة وغيرها من المسؤوليات والآيات هي:

١ - ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ الانعام ١٦٤ ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ يعني: الوليد بن المغيرة كان يقول: اتبعوا سبيلي أحمل أوزاركم فأنزل الله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾

﴿ لا يحمل أحد جناية غيره حتى لا يؤاخذ بها الجاني ﴾^(٤١). يعني اختيار الرب مسؤولية فردية لا يتحملها الغير أبداً.

٢ - ﴿ مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ الرعد ٤ وذلك أن الوليد بن المغيرة قال: اتبعوني وأنا أحمل أوزاركم فقال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾^(٤٢) هنا نظرة إلى مسؤولية الهداية أنها مسؤولية فردية.

٣ - ﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ الاسراء ١٥ وقد روي أن الوليد بن المغيرة وهو من أئمة الكفر كان يقول لقريش: اكفروا بمحمد وعلى أوزاركم، أي تبعاتكم ومؤاخذتكم بتكذيبه إن كان فيه تبعه^(٤٣) مسؤولية الكفر والإيمان شخصية.

٤ - ﴿ أَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ الزمر ٧ (فالآية في سياق النفي يفيد العموم فيشمل نفي ما زعمه الوليد بن المغيرة من تحمل الرجل عنه عذاب الله^(٤٤).)
وقال ابن عباس: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ حِينَ قَالَ: اكْفُرُوا بِمُحَمَّدٍ وَعَلَيَّ وِزْرُكُمْ^(٤٥)

٤. الوليد يمنع عشيرته من دخول الإسلام

كما مر علينا فإن الوليد يعتبر من الأثرياء ومن ذوي الجاه الكبير فأراد أن يستغل موقعه هذا لمواجهة النبي ﷺ ، ففي رواية كان الوليد يمنع ولده وعشيرته من دخول الإسلام ويقول لهم من دخل دين محمد لا أنفعه نشئ أبداً^(٤٦) ،

٥. الوليد من مثيري شبهة الأساطير

وردت عدة آيات في عدة سور تبين أن من جملة الشبهات التي كان يثيرها المشركون على القرآن الكريم، إن القرآن عبارة عن أساطير الأولين، فنزلت مجموعة من الآيات تندد بمثيري هذه الشبهة، فمنهم من يقول أن هذه الآيات نزلت في النظر بن الحارث عندما كان يجلس مجلس الرسول ﷺ فيحدثهم عن قصص الفرس والروم، ومنهم من يقول نزلت في الوليد بن المغيرة لأن واحدة منها جاءت في سورة القلم في سياق الآيات التي تندد في الوليد، وهذه الشبهة وردت في عدة آيات وفي كل واحدة منها نجد بعض الروايات تشير أن الوليد من جملة مثيريه وعلى جميع التقادير فإن الوليد من أبرز مصاديقها والآيات تعالج الشبهة وقد تكون أثرت بمناسبات متعددة وحالات متباينة فكل آية تعالج حالة من تلك الحالات فالآيات هي:

٤١ - الوجيز : للواحي ٢: ٤٢٥.. ط (١) : ١٤١٥ هـ . دار القلم: دمشق

٤٢ - المصدر السابق ٤: ٤٧٢

٤٣ - التحرير والتنوير - الطبعة التونسية المؤلف : الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ٢٧ : ١٣١ : دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ١٩٩٧ م

٤٤ - المصدر السابق ٢٧: ١٣١

٤٥ - أسير التفاسير لكلام العلي الكبير المؤلف جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري الناشر : مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الخامسة، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م -، تفسير الإمام الفخر الرازي المسمى (مفاتيح الغيب) لآية ١٧٥: ٧، ٣٢٠ : : دار الكتب العلمية - بيروت ١

٤٦ - مجمع البيان للطبرسي ١٠ / ٨٨ ط دار المعرفة لبنان : القرطبي مصدر سابق ١٨ : ٢٢٢

فتح القدير مصدر سابق ٥٠ / ١٦٩ .

- ## ٦. الوليد يحاول رخصت الرسول ﷺ .

فَهُمْ مُقْمَحُونَ ﴿٨﴾

٤٨- :الاساطير: الابطال والترهات. القرطبي مصدر سابق ١٠٠: ٩٦

٤٩- الدر المنثور ٦: ١١١ مصدر سابق.

٥١- مجمع البيان مصدر سابق ١٩: ٢٥٨

٥٢- القرطبي، مصدر سابق ١٥: ٧

٧. الوليد يمنع أهل اليمن من ملاقات النبي ﷺ

ذكرت بعض الروايات لما أراد صاحب اليمن أن يرى النبي ﷺ أنه الوليد بن المغيرة فزعم أن محمداً ساحر، وأنه العاص بن وائل وأخبره أن محمداً يعلم أساطير الأولين، فجاءه آخر فزعم أنه كاهن، وجاءه آخر فزعم أنه شاعر، وجاء آخر فزعم أنه مجنون، فكفني الله محمداً ﷺ أولئك الرهط في ليلة واحدة فأهلكهم بألوان من العذاب كل رجل منهم أصابه عذاب^(٥٣)

٨. الوليد يحرف آية البسملة

من جملة السخرية التي كان يسخر بها الوليد من النبي ﷺ والقرآن هو سخريته من الآية القرآنية الكريمة (بسم الله الرحمن الرحيم)، بالرغم من أنه أكثر الناس ادراكاً لمعناها وتذوقاً لموسيقاها فالرواية تقول: وكان الوليد بن المغيرة شيخاً كبيراً، وكان من حكام العرب يتحاكمون إليه في الأمور وينشدونه الأشعار، فما اختاره من الشعر كان مختاراً، فقالوا له مرة: يا أبا عبد شمس ما هذا الذي يقول محمد أسحر أم كهانة أم خطب؟ فقال: دعوني أسمع كلامه. فدنا من رسول الله وهو جالس في الحجر فقال: يا محمد أنشدني من شعرك، فقال: ما هو شعر ولكنه كلام الله الذي بعث أنبياءه ورسله، فقال: اتل علي منه، فقرأ عليه رسول الله ﷺ. (بسم الله الرحمن الرحيم) فلما سمع الرحمن استهزأ فقال: تدعو إلى رجل باليماة يسمى الرحمن؟ قال: لا ولكنني أدعو إلى الله وهو الرحمن الرحيم^(٥٤).

٩. الوليد يقدم ابنه عمارة إلى أبي طالب ليتخلي عن محمد ﷺ

من جملة محاولاتهم مع أبي طالب لثنيه عن مساندة النبي ﷺ أنه اجتمع مرة كفار قريش وجاءوا أبا طالب ومعهم عمارة بن الوليد بن المغيرة وكان من أحسن فتيان قريش وقالوا لأبي طالب: خذ هذا بدل محمد، يكون كالابن لك، وأعطنا محمداً نقتله، فقال ما أنصفتُموني يا معشر قريش أخذ ابنكم أرييه وأعطيكم ابني تقتلون^(٥٥)، ثم قال:

والله لن يصلوا اليك بجمعهم ❖	حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بامرك ما عليك غضاضة	❖ وايشر بذاك وقر منك عيونا
ودعوتني وعلمت أنك صادق	❖ ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
ولقد علمت بان دين محمد	❖ من خير أديان البرية دينا.

١٠. الوليد من زنادقة قريش

يعتبر الوليد بن المغيرة من أشد زنادقة قريش وسفهاؤهم على رسول الله ﷺ وهم: أبو سفيان بن حرب، عقبة بن أبي معيط، وأبي بن خلف الجمحي، النضر بن الحارث بن كلدة، أخو بني عبد الدار. منه ونبه ابنه الحجاج السهميان. العاص بن وائل. الوليد بن المغيرة، كل هؤلاء تعلموا الزندقة من نصارى الحيرة فلم يسلم منهم أحد إلا أبو سفيان^(٥٦) والواقع استسلم ولم يسلم.

٥٣- الدر المنثور مصدر سابق ٤٥٦:٧

٥٤- إعلام الوري مصدر سابق ١٧١:١

٥٥- أبو طالب حامي الرسول نجم الدين العسكري ١: ٥٩، مطبعة الآداب النجف الاشرف

٥٦- تاريخ ابن خلكان - شمس الدين احمد بن محمد ت ٦٨١ - ٤٨٤:٣، بيروت، دار الثقافة

١١. الوليد من المستهزئين بالنبي ﷺ

في رواية: ان المستهزئين برسول الله ﷺ خمسة: الوليد بن المغيرة المخزومي، والعاص بن وائل السهمي، والاسود بن عبد يغوث الزهري، والأسود ابن المطلب والحارث بن الطلائع الثقفي^(٥٧). وفي رواية الطبري التي يرويها عن عروة بن الزبير قال: كان عظماء المستهزئين خمسة نفر من قومه، وكانوا ذوي أسنان وشرف في قومهم، من بني أسد بن عبد العزى بن قصي: الأسود بن المطلب أبو زمعة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني قد دعا عليه لما كان يبلغه من إذاه واستهزائه، فقال: اللهم أعم بصره، وأثكله ولده، ومن بني زهرة: الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة، ومن بني مخزوم: الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم، ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي: العاص بن وائل بن هشام بن سعيد بن سعد بن سهم، ومن خزاعة: الحارث بن الطلائع بن عمرو بن الحارث بن عمرو بن ملكان، فلما تمادوا في الشر وأكثروا برسول الله صلى الله عليه وسلم الاستهزاء، أنزل الله تعالى ذكره (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين إنا كفيناك المستهزئين إلى قوله (فسوف يعلمون)^(٥٨)

١٢. الوليد من المستهزئين بالمؤمنين

جاء في سورة المطففين: **إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَىٰ الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ تُؤْثِرُونَ الْكُفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾**

قوله تعالى: "إن الذين أجرموا" وصف أرواح الكفار في الدنيا مع المؤمنين باستهزائهم بهم والمراد رؤساء قريش من أهل الشرك. روى عن ابن عباس قال: هو الوليد بن المغيرة، وعقبة بن أبي معيط، والعاص بن وائل، والأسود بن عبد يغوث، والعاص بن هشام، وأبو جهل، والنضر بن الحارث؛ وأولئك "كانوا من الذين آمنوا" من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مثل عمار، وخباب وصهيب وبلال "يضحكون" على وجه السخرية. "وإذا مروا بهم" عند إتيانهم رسول الله صلى الله عليه وسلم "يتغامزون" يغمز بعضهم بعضاً، ويشيرون بأعينهم. وقيل: أي يعيرونهم بالإسلام ويعيبونهم به^(٥٩).

١٣. الوليد من المقتسمين

{كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ} الحجر ٩٠

من هم المقتسمين ؟

هناك عدة أقوال في المقصود من المقتسمين، فمنهم من أوصلها إلى سبعة^(٦٠)، ومنهم من قال ثلاثة: الأول منها أن المراد بالمقتسمين: الذين يخلفون على تكذيب الرسل ومخالفتهم.

٥٧- حلية الأبرار - مصدر سابق ج ١ ص ١٢٤: اضواء البيان مصدر سابق ٢: ٤٥٣

٥٨- الطبري مصدر سابق ١٧: ١٥٤ الآية ٩٤ الحجر

٥٩- القرطبي مصدر سابق ١٩: ٢٦٧

٦٠- المصدر السابق ١٩: ٢٦٧، النكت والعيون (تفسير الماوردي) ٣: ١٧٢ - ط دار الصفوة بمصر سنة ١٤١٣ هـ ط أولى

القول الثاني: أن المراد بالمقتسمين: اليهود والنصارى، وإنما وصفوا بأنهم مقتسمون؛ لأنهم اقتسموا كتبهم فأمنوا ببعضها وكفروا ببعضها.

القول الثالث: أن المراد بالمقتسمين: جماعة من كفار مكة اقتسموا القرآن بأقوالهم الكاذبة، فقال بعضهم: هو شعر، وقال بعضهم: هو سحر، وقال بعضهم: كهانة، وقال بعضهم: أساطير الأولين، وقال بعضهم: اختلقه محمد، ﷺ.

وهذا القول تدل عليه الآيات الدالة على أنهم قالوا في القرآن تلك الأقوال المفتراة الكاذبة، كقوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [وقوله: ﴿فَقَالَ إِنِّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ﴾ وقوله: ﴿إِنِّ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ﴾، وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مِمَّا أُنْزِلَ رُبُّكُمْ قَالُوا اسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ وقوله: ﴿وَقَالُوا اسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْتَلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأُمْهِيلًا﴾، إلى غير ذلك من الآيات، والقرينة في الآية الكريمة تؤيد هذا القول الثالث^(٦١). وهو أحد الأقوال التي رواها القرطبي فقال هم ستة عشر رجلاً بعثهم الوليد بن المغيرة أيام الموسم فاققسموا أعقاب مكة وأنقابها وفجأها يقولون لمن سلكها: لا تغتروا بهذا الخارج فينا يدعي النبوة فإنه مجنون وربما قالوا ساحر وربما قالوا شاعر وربما قالوا كاهن وسموا المقتسمين لأنهم اقتسموا هذه الطرق فأماتهم الله شر ميتة وكانوا نصبوا الوليد بن المغيرة حكماً على باب المسجد فإذا سأله عن النبي ﷺ قال: صدق أولئك^(٦٢). وكذا رواه صاحب النكت والعيون^(٦٣) ومثله في الكشف^(٦٤). فكل الروايتين تبين دور الوليد بانه المشرف والمحرض الأول على النبي ﷺ ومقسم الادوار وحكمها.

١٤. الوليد يري نفسه أولى بالنبوة

إن الغرور والكبرياء الذي عرف به الوليد دفعه ان يتصور نفسه انه احق من محمد ﷺ بالنبوة لأنه كان يسمى ربحانة قريش واحد العظيمين، لذا يروي انه كان يقول: لو كان ما يقول محمد حقاً لنزل على أو على أبي مسعود؛ فرد الله عليه وعلى أمثاله في كتابه وعلى لسان نبيه فقال تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ يعني النبوة فيضعونها حيث شاؤوا. ﴿تَحْنُ قَسَمًا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(٦٥)

وكان الناس ينظرون الى الأمور نظرة مادية بعيدة عن الجوانب المعنوية من العقل والأخلاق والمعرفة ولا يفهمون طبيعة العلاقة مع الله سبحانه وتعالى لذات فهم يرون ان النبوة لا يستحقها إلا العظماء من أهل المال والجاه والثروة أمثال الوليد وعروة بن مسعود، وأشار القرآن الى هذا التصور الخاطئ بقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾، يعنون بالقريتين: مكة والطائف، وبالرجلين من القريتين: الوليد بن المغيرة في مكة، وعروة بن مسعود في الطائف زاعمين أنهما أحق بالنبوة منه^(٦٦).

٦١- اضواء البيان مصدر سابق

٦٢- القرطبي مصدر سابق ٥٨: ١٠

٦٣- النكت والعيون للماوردي مصدر سابق ١٧٢: ٣

٦٤- الكشف والبيان للنيسابوري ٣٥٢: ٥ مصدر سابق

٦٥- القرطبي مصدر سابق ٨٣: ١٦

٦٦- اضواء البيان مصدر سابق ٢٦: ٤١

ومثل ذلك ما تشير إليه الآية: ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا كَمَنْى﴾ من النبوة أن تكون فيه دون غيره، وإن كان معانٍ آخر فقيل: ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا كَمَنْى﴾ من شفاعة الأصنام؛ نزلت في النضر بن الحرث. وقيل: في الوليد بن المغيرة. وقيل: في سائر الكفار.^(٦٧)

١٥. الوليد من عظماء القريتين

المبحث الثاني: حوارات الوليد مع النبي ﷺ

اشترك الوليد في الحوارات الجماعية مع النبي ﷺ والفردية واشترك في الوفود التي ذهبت إلى أبي طالب لتحاورة في شأن النبي محمد ﷺ. فمن ذلك:

١. مساهمات الوليد في الوفود التي حاورت أبي طالب

اشترك الوليد بن المغيرة في معظم الوفود التي ذهبت لتحاور أبي طالب في شأن النبي ﷺ، فمما يروى أن الوليد بن المغيرة قال للملأ من قريش (قيل بعد إسلام عمر بن الخطاب)، وهم الصناديد والأشراف، وكانوا خمسة وعشرين رجلاً، الوليد بن المغيرة وهو أكبرهم سناً، وأبو جميل ابن هشام، وأبي أمية ابن خلف، وعمر بن وهب بن خلف، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، وعبد الله بن أمية والعاص بن وائل، والحرث بن قيس، وعدي بن قيس، والنضر بن الحرث، وأبو البحتري بن هشام، وقرط بن عمرو، وعامر بن خالد، ومحرم بن نوفل، وزمعة بن الأسود، ومطعم بن عدي، والأخنس بن شريق، وحويطب ابن عبد العزى، ونبیه ومنبه ابنا الحجاج، والوليد بن عتبة، وهشام بن عمر بن ربيعة، وسهيل بن عمرو، فقال لهم الوليد بن المغيرة: امشوا إلى أبي طالب، فأتوا أبا طالب فقالوا له: أنت شيخنا وكبيرنا، وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء، وإنا أتيناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك. فأرسل أبو طالب إلى النبي ﷺ فدعاه فقال له: يا بن أخ هؤلاء قومك يسألونك السواء فلا تمل كل الميل على قومك، فقال رسول الله ﷺ (وماذا يسألوني؟) فقال: يقولون ارفضنا وارفض ذكر آلنا وندعك وآلهك.

فقال النبي ﷺ: (أتعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم؟) فقال أبو جهل: لله أبوك لنعطينكها وعشر أمثالها. فقال رسول الله ﷺ: (قولوا لا إله إلا الله). فنفروا من ذلك وقاموا وقالوا: أجعل الآلهة إلهاً واحداً كيف يسع الخلق كلهم إله واحد^(٦٨)

٢. الوليد وشيبة يحاوران النبي ﷺ

في حوار اشترك فيه الوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة، وقد سألا رسول الله ﷺ أن يرجع عن دعوته ودينه إلى دين قريش، على أن يعطيه الوليد نصف ماله ويزوجه شيبة بابنته فنزلت هذه الآية (٦٩) ﴿فَلَذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقَدْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ الشورى ١٥٠

٦٧- القرطبي ١٧: ١٠٤

٦٨- الكشف والبيان مصدر سابق ٨: ١٧٨

٦٩- القرطبي مصدر سابق ١٦: ١٤

٣. حوار للتقارب مع النبي ﷺ

في اقتراح تقدم به بعض المشركين وهم الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل السهمي، والأسود بن المطلب وأمية بن خلف مفاده أن يعبد النبي ﷺ معهم آلهتهم سنة ويعبدون معه إلهه سنة مصالحة بينهم وبينه وإنهاء للخصومات في نظرهم، فلم يجبه الرسول ﷺ بشيء حتى نزلت هذه السورة ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾^(٧٠)

وذكر ابن إسحاق وغيره عن ابن عباس: أن سبب نزولها أن الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن عبدالمطلب، وأمية بن خلف؛ لقوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد، هلم فلنعبد ما تعبد، وتعبد ما نعبد، ونشترك نحن وأنت في أمرنا كله، فإن كان الذي جئت به خيراً مما بأيدينا، كنا قد شاركناك فيه، وأخذنا بحظنا منه، وإن كان الذي بأيدينا خيراً مما بيدك، كنت قد شركتنا في أمرنا، وأخذت بحظك منه؛ فأنزل الله عز وجل ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾^(٧١).

ومثله ما أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم وابن الأنباري في المصاحف عن سعيد بن ميناء مولى أبي البختري^(٧٢).

ومع شيء من الاختلاف أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما أن قريشاً دعت رسول الله ﷺ إلى أن يعطوه مالا فيكون أغنى رجل بمكة ويزوجوه ما أراد من النساء فقالوا: هذا لك يا محمد وكف عن شتم آلهتنا ولا تذكر آلهتنا بسوء فإن لم تفعل فإننا نعرض عليك خصلة واحدة ولك فيها صلاح قال: ما هي؟ قالوا: تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة قال: حتى أنظر ما يأتيني من ربي فجاء الوحي من عند الله قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون الآية^(٧٣).

المبحث الثالث: تاثر الوليد بالقرآن

١- تذوقه للقرآن

هناك عدة روايات تشير إلى تذوق الوليد للقرآن وتأثره به لولا تعصبه وليس غريباً عليه فهو من فصحاء العرب وحكامها، ففي رواية أن الوليد بعد سماعه للقرآن أنطلق حتى أتى مجلس قومه بني مخزوم فقال: والله لقد سمعت من محمد أنا كلاماً، ماهو من كلام الإنس، ولا من كلام الجن، وإن أعلاه لمثمر، وأن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو وما يعلو عليه، ثم إنصرف إلى منزله. فقالت قريش صبا والله الوليد: ريحانة قريش^(٧٤) وقد مر مثله تراجع بسبب عصبية. وفي رواية: عن عكرمة، عن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن وكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عم، إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا. قال: ولم؟ قال: أتيت محمداً لتعوض مما قبله. قال: قد علمت قريش أنني من أكثرها مالا. قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له. قال ماذا أقول؟ فوالله ما فيكم أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزها وبقصيدها مني، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن لقوله الذي يقول

٧٠- إيسر التفاسير الجزائري ١٠: ٦٠ مصدر سابق

٧١- القرطبي مصدر سابق ٢٠: ٣٢٥

٧٢- الدر المنثور مصدر سابق ٨: ٦٥٥

٧٣- المصدر السابق ٨: ٦٥٥

٧٤- مجمع البيان مصدر سابق ١٠٠ / ١٧٨.

حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وإنه ليعلو وما يعلو عليه، قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر فيه، فقال: هذا سحر يؤثر يآثره عن غيره، فنزلت - فذرني ومن خلقت وحيدا^(٧٥).

٢- تأثره بآية العدل والإحسان

ذكرنا ان الوليد صاحب ذوق في اللغة فهو من حكام العرب الذين يحتكم إليه في الشعر والخطب والادب، بلا شك من اكثر المتذوقين للقرآن وفي اكثر من مرة يعبر عن إعجابه بالقرآن ويصفه بان له حلاوة وطلاوة ويعلو ولا يعلو عليه ومن جملة ذلك يروي عن عكرمة: أن النبي ﷺ قرأ على الوليد بن المغيرة **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ** هذه الآية، فقال له: يا ابن أخي، أعد علي، فأعادها عليه، فقال له الوليد: والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وأن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وما هو بقول البشر^(٧٦). ومثله رواية عن ابن عباس ٢.

٣- تأثر الوليد بآية (حم السجدة)

ففي رواية أن الوليد بن المغيرة لما سمع من رسول الله ﷺ يقرأ (حم السجدة) فلما بلغ قوله ﴿فَإِنَّ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ اقشعر الوليد وقامت كل شعرة في رأسه ولحيته، ومر إلى بيته ولم يرجع إلى قريش من ذلك، وعندها مشوا إلى أبي جهل يخبرونه فغدا أبا جهل إلى الوليد وقال له يا عم نكست رؤوسنا وفضحتنا واشمت بنا عدونا وصبوت إلى دين محمد، فقال ما صبوت إلى دينه ولكني سمعت كلاماً صعباً تقشعر منه الجلود^(٧٧).

لاحظ التأثير الاجتماعي كيف يكون سببا لانحرافه وانحراف كثير من الناس، وذلك لان المبالغة في اعتداد الإنسان بنفسه غالبا مايكون وراء كبريائه وسببا لانكفائه ورجوعه عن الحق، وكي يثبت موقعه في قريش وكبريائه اقترح على قومه أن يشيعوا بين الوافدين على مكة في مواسمها أن محمداً ساحراً حتى يستبعدوا الناس عن محمد ﷺ فلا يعرفوا ماهي رسالته، وهذا الفعل من أشد مظاهر الاعتداء على العقل والضمير لأنه تحريف للعقل وقتل للضمير.

٤- الوليد كاد ان يؤمن لشدة تأثره بالقرآن

قيل ان الوليد بن المغيرة قارب أن يؤمن بالنبي ﷺ فعيره بعض المشركين، فقال: أتركت دين الأشياخ وضللتهم؟ قال: إني خشيت عذاب الله، فضمن له الذي عاتبه إن هو أعطاه كذا من ماله ورجع إلى شركه أن يتحمل عنه عذاب الله، فرجع الوليد إلى الشرك وأعطى الذي عيره بعض ذلك المال الذي ضمن ومنعه ثمانية. فأنزل الله عز وجل الآية^(٧٨) ﴿وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْذَى﴾ النجم ٣٤.

٧٥- اسباب النزول مصدر سابق، ١: ٤٠٦ مختصر السيرة ١: ١٤١ عبد الله التميمي المطبوع في القاهرة سنة ١٣١٩ هـ

٧٦- الأنوار الساطعة في طرق إثبات العلة الجامعة تأليف أ.د. رمضان عبد الودود عبد التواب مبروك جامعة الأزهر ٢: ٣٦١ - دار

الهدى.

٧٧- الميزان مصدر سابق ٢ / ٩٢

٧٨- اضواء البيان مصدر سابق ١٢: ٥٦

وأيدت ذلك بعض الروايات منها: قال مجاهد وابن زيد: نزلت في الوليد بن المغيرة، وذكر الخبر وهذه الآية^(٧٩).

بيدوا ان الوليد عانى صراعاً داخلياً مريراً بين عقل ومنطق يدعو للإيمان، وبين هوي ورغبات وواقع وشموخ يعيشه في قريش يخشى ان يفقده لو آمن هذا من الداخل، إما من الخارج فتدخلات بعض زعماء قريش على راسهم ابوجهل عندما استغل هذه النفسية المترددة لعمه الوليد في كل مرة يحاول ان يتأثر بالقرآن ويحاول ان يقترب من الإيمان، فيقف بوجهه حجر عثرة، بل سداً منيعاً يحول دون اذعانه للحق وإيمانه بالله الواحد الأحد عندما يستفزه يذكره بشموخه ويهول عليه العار الذي سوف يلحق به بين قريش لو صبا لمحمد ﷺ، وقد يستفاد من بعض الآيات هذا المعنى مر بعضها^(٨٠).

ففي رواية أن الوليد بن المغيرة لما سمع من رسول الله (حم السجدة) فلما بلغ قوله: ﴿فَاتَّعَرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ فصلت ١٣ اقشعر الوليد وقامت كل شعرة في رأسه ولحيته، ومروا إلى بيته ولم يرجع إلى قريش من ذلك. وعندها مشوا إلى أبي جهل يخبرونه فغدا ابوجهل إلى الوليد وقال له ياعم نكست رؤوسنا وفضحتنا واشمت بنا عدونا وصوت إلى دين محمد. فقال ما صوت إلى دينه ولكنني سمعت كلاماً صعباً تقشعر منه الجلود^(٨١). وهناك روايات كثيرة تشير إلى انهيار الوليد بالقرآن ويحول دون إيمانه ابوجهل^(٨٢).

٥: اثر تنديد القرآن بالوليد

هناك مجموعة من الآيات تذم المشركين وتذم مجموعة من الصفات السيئة فيهم يكون الوليد من مصاديقها أو سبباً لنزولها أثرت تأثيراً بليغاً فيهم منها:

١- جاء في سورة الاعلى ﴿الَّذِي يَصَلِّي النَّارَ الْكُبْرَى﴾ قيل: نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة^(٨٣).

٢- آية: ولتحملن أثقالكم قيل: إن الوليد بن المغيرة قال: أنزل عليه الذكر من بيننا ص ٨؛ فنزلت الآية ﴿وَلِيَحْمِلْنَ أَثْقَالَهُمْ وَأَتَقَالُوا مَعْ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسَّالْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾^(٨٤) العنكبوت ١٣. وفي رواية قال مجاهد: قال المشركون من قريش نحن وأنتم لا نبعث فإن كان عليكم وزر فعلينا أي نحن نحمل عنكم ما يلزمكم وروي أن قائل ذلك الوليد بن المغيرة ولتحملن أثقالكم وأثقالاً مع أثقالهم^(٨٥).

٣- آية اعرض ونأى قوله تعالى: وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه أي هؤلاء الذين يزيدهم القرآن خساراً صفتهم الإعراض عن تدبر آيات الله والكفران لنعمه وقيل: نزلت في الوليد بن المغيرة^(٨٦).

٧٩- المصدر سابق ١: ٢٧٠

٨٠- اسباب النزول الواحد مصدر سابق ١: ٦، الدر المنثور مصدر سابق ١٤: ١٢٢

٨١- الميزان مصدر سابق ٢ / ٩٢

٨٢- انظر الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للإمام محمود بن عمر الزمخشري المعتزلي ت ٥٢٨ هـ ط دار الريان للتراث سنة ١٤٠٧ هـ ط ٣. ٧: ١٨٠، البحر المديد مصدر سابق ١٢: ٤٦١، نور الثقلين مصدر سابق ١١: ٢٨٦

٨٣- القرطبي ٢٠: ٢٠ مصدر سابق

٨٤- المصدر السابق ١٢: ٩٨

٨٥- المصدر السابق ١٣: ٣٣١

٤- اثر سورة المدثر على الوليد

نزلت مجموعة من الايات في سورة المدثر تندد بالوليد تنديدا غريبا وشنيعا تبعث على التأمل الطويل بالدور المشزم الذي قام به الوليد لتندد به هذه الايات هذا التنديد الفضيع

قال تعالى: ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهْدَتْ لَهُ تُمَهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَأَن لَّيَاتِنَا عِنْدًا ﴿١٦﴾ سَأَزِيدُهُ مِصْرُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأَصْلِيهِ سَقَرًا ﴿٢٦﴾ وَمَا أَذْرَاكَ مَا سَقَرُهُ ﴿٢٧﴾ لَأُثَبِّتِي وَلَأَذْرُؤَ ﴿٢٨﴾ لَوْ أَهْلَ لِلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ هذا التهديد القرآني العنيف لا شك انه أثر اثرا بليغا في نفسية الوليد ومن سعي سعيه وهو يسمع هذا الكلام وهو احد حكام العرب الذين يعيشون البلاغة بوجدانهم قبل عقولهم وتهتز له مشاعرهم طربا لجماله فكيف تكون مشاعرهم عندما يكونا تهديدا واقعا ومصيرا يقينا هم ملاقوه فكيف اهتزت مشاعره وهل نام ليلته ام سهر يؤرقه الخوف والقلق والخيبة والعجب ، ام يلوذ بماله وكبريائه وغروره وعناده وشقائه ومصيره الاسود.

يبدو ان هذه الآيات لها علاقة بالرواية السابقة التي ذكرت ان قريش اتفقوا ان يصفوا محمدا صلى الله عليه وآله للعرب في الموسم أنه ساحر ، والوليد يدرك ان السحر بعيد عن محمد صلى الله عليه وآله لذا قال أقرب ولم يقل هو الواقع الذي وصلت له وآمنت به ، فاندفع الباقون يرددون هذا الذي قاله بين الوفود القادمة ساحر كذاب وهم يعتقدون انه الصادق الامين ، بناء على ذلك جاءت الايات القرآنية تندد بالوليد وتعلن الحرب عليه نفسيا ، لتجعله يعيش صراعا داخليا ينظر الى مستقبل اسود ، ومصير مشؤم لا يستطيع تجاهله ، ولا يمكن مواجهته أو الفرار منه ، والقرآن شخص ان لهذا وأمثاله لا ينفع الا الردع المادي والمعنوي باليد واللسان ، فجاءت الآيات لتخزيه وتكشف عيوبه وعورته ، وتخط من شخصيته وكرامته ، وجعلته يعيش حالة من الازدواجية النفسية وصراع داخلي بين عقله وهواه ، وضميره ورجباته ، بين ايمانه بالحق وخوفه من لسان قريش ، ومن يعطيه الله هكذا قدرة يستحق هكذا توبيخ من القرآن الكريم ، فاسقط هالة عظمتة وكبريائه الى الحضيض ، و إذا اردنا متابعة الآيات القرآنية الشريفة وملاحظة ترتيبها وتنسيقها لوجدنا أنها بدأت أولا و كأنها بدأت بتمجيد الوليد بشكل تهكمي وتعريض به ، مشفوعة بالتنديد والتهديد ، ثم تذكيره وتنبيهه ان ماعنده هو تفضل ومنة من الله ، والمفروض ان يرد النبيل الفضل بالفضل والاحسان بالاحسان أو اكثر ، فإذا كنت تفتخر انك كسوت الكعبة وحكك فكل ما عندك لرب الكعبة وهذا رسوله يدعوك فرد الفضل بالايمان واحسن بالمساندة والتصديق فجنانك يصدقه وان كذبه هواك ، لذلك كرر القرآن تاء الفاعل خلقت جعلت لبيان ان الفاعل الله جل جلاله وليس انت ولاسعيك وقدرتك وهواك لتنبهه عن غفلة الانا وسطوة الذات ثم يعدد جل اسمه تلك النعم المال والبنين والجاه والسمعة ويطمع ان ازيد مع نكرانه للنعم وتكذيبه للنعم انه كان لاياتنا عنيدا ، ومقتضي العناد انه عارف للحق في نفسه مؤمن بالله في عقله الا انه يرفض الايمان بهواه وكبريائه بعيدا عن العقل والمنطق ، وهذا يكشف كوامنه التي كان يتصور انه اخفاها على محمد ﷺ فهو الآن وجها لوجه امام الحقيقة وهذا مما يفت

في عضده وينخر في قواه فتجعله يتردد في قراراته فيعيد حساباته أكثر من مرة فيصبح ضعيفاً أمام النبي صلي الله عليه وآله والنبي يكبر في عينه ويعظم في نفسه ، وفي نقطة الضعف هذه ياتيه التهديد الإلهي هجوم كاسح سأرهقه صعوداً انتظر متاعب متصاعدة وعقبات متتالية في الدنيا والآخرة ثم يأتي القرآن ليهتكهم بطريقة تفكيره ، انه فكر وقدر وكان القرآن يريد ان ينقل صورة الحوار بين قريش وسؤالهم الوليد ان يجد لهم مخرجاً قبل الموسم الذي تجتمع فيه العرب في الأسواق فيلتقوا بمحمد ويخشون ان يشيع أمره وتصدقه العرب ، فالقرآن يصور الوليد بعد انتهاء الحوار مع قومه والكل تنتظر الجواب بتلهف والوليد يفكر ويفكر تظهر علامات على وجهه من شدة التفكير هذه ملامحه بسر وعبس لأنه وصل الى نتيجة لا ترضي غروره ولا تتناسب مع اهواءه ، ولا ترضي مجتمعه ، لذا كلح بوجهه كلوح المتكبر المغرور بعقله ، فاعرض عن ما وصل اليه بعقله ، ليعلن النتيجة البائسة التي وصل إليها هواه ، فقال ان هذا الا سحر يؤثر انه لقول البشر ، فيجيبه القرآن مندداً متهمهما فقتل كيف قدر فيذكر له القرآن الجزاء على هذه النتيجة : سأصليه سقر ، ثم يبين القرآن هول سقر لا تبقي ولا تذر لواحة للبشر عليها تسعة عشر ، هذه الصورة القرآنية للمصير الذي ينتظره الوليد وأمثاله بعد ان وصفه القرآن بهذا الأسلوب وهذه البلاغة ، جعلته يعيش جهنم وأهوالها قبل ان يصلها ، وكأنها تلسع وجهه وبشرته قبل ان يراها فيعيش انهزام نفسي ورعب داخلي تجعله يتمني على نفسه لو لم يسمع هذا الكلام أو انه آمن و لم يواجه محمد ﷺ وهكذا يبقى القرآن يلاحق الوليد وأمثاله في أكثر من مرة وفي أكثر من سورة وباكثر من أسلوب مما جعله يعيش الصراع الداخلي وذلك التردد.

٦- اثر سورة القلم على الوليد

هجوم كاسح آخر في سورة أخرى على الوليد وعلى كل المتكبرين والذين أعمتهم العصبية ولم ينفع معهم النصيح ولا الدلائل ولا البراهين ، في هذه السورة يصف القرآن الوليد بأوصاف شنيعة ويفضح ويندد به ابلغ تنديد ، بعد ان امتدح الرسول ﷺ وأوعده وعداً حسناً يغيظ أعدائه ويبعث في نفوسهم خيبة الامل والقنوط من الخط من ارادة النبي ﷺ أو الوقوف بوجه دعوته قال تعالى : **ث وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَيِّكُمْ الْمَقْتُولُ ﴿٦﴾ إِنْ رُبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وُدُّوا لَوْ تَدْهَنُ فَيَدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٌ مَشَاءٌ بَنِيمٍ ﴿١١﴾ مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَنْ كَانَتْ ذَا مَالٍ وَنَبِينٍ ﴿١٤﴾ إِذَا تَتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِفُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ ﴿١٦﴾**

وهذه السورة بمجملتها تحكي معاناة الدعوة المحمدية والموقف القرآني منها فبعد تلك الحملة الشرسة من المشركين من التكذيب و الترهيب و الاستهزاء ينبري القرآن الكريم لهؤلاء ، مبتدأً بثناؤه على النبي ﷺ وطمأنته على مستقبل الدعوة ، وينقل بتهديده للذين رموه بهتاناً بصفات هم أعلم من غيرهم أنها كذباً وافتراء ، فيهددهم بافتضاح أمرهم ، وانكشاف كوامنهم ، بطلان دعاؤهم ، فسنبصر و يبصرون ، واعداء النبي ﷺ بظهور الحقيقة بقوله تعالى مخاطباً المشركين أيكم المفتون وأنه تعالى أعلم بمن ظل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ، فلا تطع المكذبين بالتوحيد أمثال الوليد وغيره ، فأن هؤلاء بلغ بهم الضعف رغم تجبرهم واستكبارهم ومالهم من موقع ، بعد ان أثرت بهم الايات المباركة ، و السلوك الكريم الحكيم لرسول الله ، حتى أنهم ودوا لو تدهن فيدهنون ، ودو منك التنازل بمقدار ما وهم يتنازلون بمقدار ما حتى

تلتقوا وسط الطريق ، لكن ذلك بعيد ولا يتناسب مع المبدئية والرسالية التي تقضي نبذ الشرك وقطعه من دابره ، ثم تأتي الآيات الآخر من السورة المباركة لتتناول ذلك الحلاف المهين الهماز الذي يمشي بالنميمة والذي منع وصول الخير إلى الآخرين ، و أعلى مصاديق الخير نور الهداية الذي حاول أن يكون حجاباً بينه وبين الناس .

جاءت هذه الآيات كما يبدو من سياقها بعد ان بان الوهن في قريش وقويت شوكت المسلمين الى درجة انهم بدأوا يسأومون النبي ﷺ على حل وسط بينهم ، والقرآن يرفض هذا الحل كما عبر عن ذلك في نفس السورة فقال : تعالي : ﴿ فَلَا تُطِيعُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ ٨ ﴿ وَدُّوا لَوْ تَدَّهَنُ فَيَدْهِنُونَ ﴾ وَحَقِيقَةُ الْإِدْهَانِ إِظْهَارُ الْمَقَارِبَةِ مَعَ الْإِعْتِقَادِ لِلْعُدَاوَةِ ؛ فَإِنْ كَانَتْ الْمَقَارِبَةُ بِاللِّينِ فَهِيَ مِدَاهِنَةٌ ^(٨٧) إِنَّمَا أَرَادَ أَنَّهُمْ تَمَنَّوْا لَوْ فَعَلَتْ فَيَفْعَلُونَ مِثْلَ فِعْلِكَ عَطْفًا ، لَا جَزَاءَ عَلَيْهِ ، وَلَا مُكَافَأَةً لَهُ ، وَإِنَّمَا هُوَ تَمْثِيلٌ وَتَنْظِيرٌ .

فذكرت بعض الروايات ^(٨٨) ان قريش طلبت من النبي ﷺ ان يترك التعرض لآلهم فتركوه لكن القرآن امر النبي ﷺ ان لا يداهنهم على ذلك بعد ان دب بهم الضعف وانهزموا داخليا من خلال الضربات القرآنية لهم في عقر دارهم في ضمائرهم ونفوسهم ومستقبلهم في العاجل والآجل وراح يكيل الضربات للمتكبرين من زعمائهم الذين هم قدوة قريش في المواجهة ، أمثال الوليد بن المغيرة ، فلاحظ كيف يندد به القرآن ، ويقرعه في هذه الآيات ولا تطع كل حلاف مهين استخفاف واستحقار لهذا النوع من البشر ، وكان القرآن يشير الى قضية نفسية واجتماعية ان الإنسان الذي يكثر اليمين فانه لا يحترم يمينه وذو نفس مهينة حقيرة لاكرامة لها ولا عزة فمن لا يحترم يمينه لا يحترم نفسه ومن يكثر الإيمان بلا مبرر فهو لا يحترم يمينه ولا من يحلف به ومنهم الوليد ، ثم يفضحه ويشهر به في صفة يظن أنها تخفي على الآخرين ، فيصدع القرآن انه هماز يطعن بالآخرين ويعيبهم من خلفهم ، وهذا يدل على جبن وسوء سريرة وخلق سيئ ، وهو مع ذلك يسعى بالنميمة بين الناس ليفسد بينهم ويؤجج الفتنة والأحقاد والضغائن ، ومن مثل هذا لا يكون محترما في المجتمع ولا محبوبا ، ثم انه مناع للخير ، فهو لا يفعل الخير ولا يدع الآخرين يفعلونه ، وجاء في تفسير الرازي ان هذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة ، وكان له عشرة من البنين وكان يقول لهم وما قاربهم لئن تبع دين محمد منكم أحد لا أنفعه بشيء أبداً فمنعهم الإسلام فهو الخير الذي منعهم ^(٨٩) ، فيؤكد القرآن على مساوئه ليعزله عن المجتمع ويمنع تأثيره السلبي على الرسالة ، ثم يصفه القرآن بما ينفر منه المجتمع انه معتد ائيم فانه يحمل روح العدوانية على المجتمع ، كثير الآثام والخطايا على مجتمعه ربا وزنا واكل المال بالباطل وسلب الفقراء والمستضعفين حقوقهم وغيرها من الاعتداءات ، ثم تأتي الضربة القاضية على الوليد

٨٧- احكام القرآن لابن العربي ت ٥٤٣ هـ ٤٢٦: ٧ ، ط البايي الحلبي - ١٣٨٧ هـ

٨٨- تفسير القرطبي مصدر سابق ١٨ : ٢٣٠ . قال القتيبي : طلبوا منه أن يعبد آلهم مدة ويعبدوا إلهه مدة .

الدر المنثور مصدر سابق ١٤ : ٣٦ عن ابن عباس في قوله : ودوا لو تدهن فيدهنون قال : لو ترخص له فيرخصون وعن مجاهد ودوا لو تدهن فيدهنون يقول : لو تركن إليهم وترك ما أنت عليه من الحق فيمالئونك وعن قتادة قال : ودوا لو يدهن نبي الله عن هذا الأمر فيدهنوا عنه . وعن عكرمة قال : لو تكفروا فيكفرون .

الكشف والبيان النيسابوري مصدر سابق ١٠ : ١٢ عوف عن الحسن : لو ترفض بعض أمرك فيرفضون بعض أمرهم ، ابن كيسان : لو تقاربهم فيقاربوك :

القرطبي ١٨ : ٣٢٠ مصدر سابق عن ابن عباس أيضا : ودوا لو ترخص لهم فيرخصون لك . وقال الفراء والكلبي : لو تلين فيلينون لك .

٨٩- تفسير الرازي مصدر سابق ٤٥١١ :

عندما يصفه القرآن الكريم عتل بعد ذلك زعيم فظ فاحش كثير الخصومة ومع ذلك فهو زعيم أي دعي لا أب له معروف وهذا أشد ما يسب به عند العرب.

خاتمة

بعد هذه الجولة بين أودية مكة وما جري فيها عبر التاريخ تبين لنا الأمور التالية:

١. أن مكة أقدس مكان في الأرض اختارها الله لتكون المكان المناسب لأقدس رسالة سماوية وكل التغيرات والتحركات التي جرت في مكة مرصودة سماوياً، تتدخل العناية الإلهية في كثير من مجرياتها.
٢. أن مكة كانت وقت نزول الوحي توجد فيها من المثل والأعراف الأقرب إلى الإسلام من أي بقعة أخرى في العالم اجمع، بالرغم من أنها من ناحية التقدم المدني لم تبلغ ما وصلت إليه حضارات الروم والفرس في حينها، إلا أنها من ناحية الالتزامات الأخلاقية والعرفية هي الأفضل، مع كل ما وصف به أهل مكة من التعصب والتجبر والانحراف العقائدي، لكن بقية الحنفية لازال لها تأثيرها على المجتمع المكي فهم الأفضل.

٣. إن هناك ادواراً موزعة على زعماء قريش ووجهائها لمواجهة النبي ﷺ، من كل ما ينسب موقعه وقدرته، وكان دور الوليد بن المغيرة الذي يناسب قدراته كحكم للشعر والأدب كلف أن يعارض النبي ﷺ من هذه الجهة، فقريش استشارته للتعرف على حقيقة القرآن فصنع بالحقيقة فقال إن له خلاوة وإن عليه لطلاوة وما هو بقول بشر، وعندما سأله الأسلوب الأمثل لمنع تأثير محمد غلي العرب القادمين في الموسم رفض كل اقتراحاتهم من أنه شاعر أو كاهن أو ساحر أو مجنون، ثم فكر وقدر فقتل كيف قدر أنه سحر يؤثر، فاعطى نتيجة خلاف عقله ومنطقه، فهو في أكثر من مرة هداه عقله ومنطقه وفهمه لغته إلى الإيمان لولا تسويلات النفس والأنس والشيطان وسوء عاقبته، فال مصيره الأسود وسمة على الخرطوم.
٤. أن الوليد انهزم شر هزيمة أمام بلاغة القرآن وأسلوبه وأخباراته وكشفه لعورات الوليد وباقي المشركين

٥. أن الوليد يؤمن بصدق محمد ﷺ وصحة رسالته إيماناً وجدانياً وكذلك الكثير من المشركين كأبي جهل وإنما يمنعونهم التصريح بذلك شدة تعصبهم لقومهم وحسد لهم لبني هاشم.

المصادر

١. أبو طالب، حامي الرسول نجم الدين العسكري، مطبعة الآداب — النجف الاشرف.
٢. أحكام القرآن، لابن العربي أبي بكر محمد بن عبدالله — ت ٥٤٣ هـ، دار الكتب العلمية ط ١ — ١٣٨٧ هـ — لبنان — بيروت.
٣. أخبار مكة: للأزرق، دار الثقافة — مكة ١٤٠٨ هـ.
٤. أسباب النزول، تأليف أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، توزيع دار الباز للنشر والتوزيع، عباس أحمد الباز، مكة المكرمة.
٥. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد بن المختار الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر — بيروت ١٤١٥ هـ.
٦. أعلام النبوة للماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط ١، دار الكتاب العربي بيروت ١٩٨٧ م.

٧. أعلام الوري بأعلام التقي، الفضل بن الحسن الطبرسي — ت ٥٤٨هـ، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث — قم.
٨. إقحام الأعداء والخصوم بتكذيب ما افتروه على سيدتنا أم كلثوم عليها سلام، تأليف العلامة الكبير المجاهد شمس العلماء السيد ناصر حسين الموسوي الهندي، تحقيق وتعليق الدكتور محمد هادي الأميني، مكتبة نينوى الحديثة — طهران.
٩. الاحتجاج، أحمد بن علي الطبرسي — ت ٥٦٠هـ، منشورات دار النعمان.
١٠. الإرشاد، المفيد محمد بن النعمان العكبري البغدادي — ت ٤١٣هـ، تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، مطبعة أمير — قم.
١١. الإعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء الزركلي خير الدين — ت ١٤١٠هـ، دار العلم للملايين بيروت.
١٢. الأغاني، لأبي فرج الأصفهاني، دار الكتب لبنان.
١٣. الأنوار الساطعة في طرق إثبات العلة الجامعة، تأليف أ.د. رمضان عبد الودود عبد التواب مبروك، الأستاذ المساعد بقسم أصول الفقه كلية الشريعة والقانون، جامعة الأزهر ص ٥١، دار الهدى سنة ١٤٠٦هـ — ١٩٨٦م.
١٤. التحرير والتنوير، الطبعة التونسية، المؤلف: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع — تونس — ١٩٩٧ م.
١٥. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبدالله محمد بن احمد شمس الدين القرطبي — ت ٦٧١هـ، دار عالم الكتب الرياض.
١٦. الجواهر الحسان في تفسير القرآن المعروف بتفسير الثعالبي، عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف أبي زيد المالكي الثعالبي، دار إحياء التراث العربي — بيروت.
١٧. الدر المنثور، عبدالرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، الناشر دار الفكر بيروت ١٩٩٣م، عدد الأجزاء: ٨.
١٨. السيرة الحلبية في سيرة الأمين والمأمون، علي بن برهان الدين — ت ١٠٤٤هـ، دار المعرفة بيروت — لبنان ١٤٠٠هـ.
١٩. السيرة النبوية لابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري — ت ٢١٣هـ، دار الجليل — بيروت.
٢٠. السيرة النبوية لأبي الفداء اسماعيل بن كثير — ت ٧٤٧هـ، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة بيروت.
٢١. العقد الفريد، احمد بن عبد الله بن عبد ربه الاندلسي — ت ٣٢٨هـ، تحقيق محمد سعيد العريان.
٢٢. الغدير عبدالحسين الاميني، بيروت، مؤسسة الاعلمي.
٢٣. الطبقات الكبرى ابن سعد — ت ٢٣٠هـ طبعة ليدن.
٢٤. الكاشف عن الحقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل للإمام محمود بن عمر الزمخشري المعتزلي — ت ٥٢٨هـ، ط دار الريان للتراث سنة ١٤٠٧هـ.
٢٥. الكاشف، محمد جواد مغنية، ط ٣، دار العلم للملايين بيروت — لبنان.
٢٦. الكامل في التاريخ لابن أثير، دار إحياء التراث العربي بيروت — لبنان.

٢٧. الكشف والبيان، أبو اسحاق احمد بن محمد بن ابراهيم النيسابوري، دار احياء التراث العربي، تحقيق أبي محمد بن عاشور.
٢٨. المحرر الوجيز، لابن عطية، مؤسسة دار العلوم للطباعة والنشر، الدوحة — ١٤٠٣ هـ.
٢٩. الميزان في تفسير القرآن محمد حسين الطباطبائي: منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت — لبنان.
٣٠. النكت والعيون (تفسير الماوردي)، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري — ت ٤٥٠ هـ، دار الصفوة بمصر سنة ١٤١٣ هـ، ط ١.
٣١. الوجيز، للواحدي، تحقيق: صفوان الداودي. ط ١: ١٤١٥ هـ، دار القلم: دمشق.
٣٢. أنساب الاشراف، البلاذري احمد بن يحيى بن جابر — ت ٧٧٩ هـ، حققه وعلق عليه الشيخ محمد باقر المحمودي، مؤسسة الاعلمي — بيروت — لبنان.
٣٣. أيسر التفاسير، لكلام العلي الكبير المؤلف جابر بن موسى بن قادر بن جابر أبوبكر الجزائري، الناشر مكتبة العلوم والحكم، ط ٥، ١٤٢٤ هـ — ٢٠٠٣ م، المدينة المنورة.
٣٤. إيمان أبي طالب، الشيخ المفيد، طبع النجف الاشرف سنة ١٣٧٢ هـ.
٣٥. بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، محمود شكري الألوسي، تحقيق محمد بهجت، دار الكتب العلمية، ط ٢.
٣٦. تاريخ ابن خلكان — المعروف وفيات الاعيان شمس الدين بن محمد — ت ٦٨١ هـ، تحقيق احسان عباس، دار الثقافة — بيروت — لبنان.
٣٧. تاريخ الاسلام، السيوطي عبدالرحمن بن الكمال جلال الدين — ت ٩١١ هـ.
٣٨. تاريخ الامم والملوك — المعروف بتاريخ الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير الطبري — ت ٣١٠ هـ، ط ٤، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات — بيروت — لبنان.
٣٩. تاريخ اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر اليعقوبي — ت ٢٨٤ هـ، ط ١، دار الفكر بيروت.
٤٠. تاريخ بغداد، ابوبكر محمد بن احمد بن علي الخطيب البغدادي — ت ٤٦٢ هـ، دار الكتب العلمية بيروت.
٤١. تفسير القمي، لأبي الحسن علي بن ابراهيم القمي، ط الثانية ١٣٨٧ هـ، مطبعة النجف.
٤٢. حلية الابرار في احوال محمد وآله الاطهار عليهم السلام، تأليف العلم العلامة السيد هاشم البحراني " قدس سره"، مؤسسة المعارف الاسلامية.
٤٣. دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدى، الطبعة الثالثة ١٩٧١ م، دار المعرفة بيروت.
٤٤. دلائل النبوة، للإمام أبي بكر جعفر بن محمد بن الحسن الفريابي — ت ٣٠١ هـ، دار العاصمة للنشر والتوزيع.
٤٥. شرح الاخبار في فضائل الائمة الاطهار، القاضي المغربي ت ٣٦٣ هـ، المحقق محمد الحسيني الجلالى قم، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين.
٤٦. عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب، ابن عتبة احمد بن علي بن المهنا — ت ٨٢٨ هـ؛ تحقيق محمد حسن الطباطبائي، النجف، الطبعة الحيدرية، الطبعة الثالثة.
٤٧. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، دار الريان للتراث ١٤٠٧ هـ.

٤٨. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني — ت ١٢٥٠ هـ، دار الفكر.
٤٩. كنز العمال وسنن الاقوال والافعال، علاء الدين بن حسام الدين المتقي الهندي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة.
٥٠. مجمع البيان في تفسير البيان للطبرسي، دار المعرفة لبنان.
٥١. مختصر السيرة، عبد الله التميمي، المطبوع في القاهرة سنة ١٣١٩ هـ.
٥٢. مروج الذهب ومعادن الجوهر، علي بن الحسين المسعودي — ت ٣٤٦ هـ، تحقيق محمد محي عبد الحميد، بيروت، دار المعرفة.
٥٣. معجم البلدان، ياقوت الحموي، الخانجي ١٣٢٣ هـ، الكعبة.
٥٤. مفاتيح الغيب، تفسير الإمام الفخر الرازي، الإمام العالم العلامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية للنشر — بيروت — ١٤٢١ هـ — ٢٠٠٠ م، الطبعة: الأولى.
٥٥. موسوعة التاريخ، محمد هادي اليوسفي، مجمع الفكر الاسلامي، الطبعة الاولى.
- موسوعة العتبات المقدسة، جعفر الخليلي، ط ٢، سنة ١٩٨٧ م بيروت.